المحاضـــــــرة السادســــــــة :

**قضية الفحولة عند النقاد (نماذج نصية من المشرق والمغرب والأندلس ).**

 **لقد وعى النقاد القدماء الأوائل، ضرورة وجود معايير فنية، ومقاييس تمكنهم من نقد الأشعار، والحكم عليها جودة أو رداءة، وتصنيف الشعراء** ، والحكم عليهم ، وإنزالهم المراتب التي يستحقونها، من حيث جودة أشعارهم أو رداءتها **، وتجسد ذلك من خلال ما أوجدوه من مصطلحات، وكان مصطلح الفحولة واحداً من تلك المصطلحات التي نقع عليها في تراثنا النقدي.** وفي درسنا هذا سنحاول الوقوف على حقيقة هذا المصطلح، والمعايير المطلوبة لبلوغه، ونقد تلك المعايير، ثم بيان الأثر الذي أثمره توظيف مصطلح (الفحولة) في الساحة النقدية العربية.

***أولا :تعريف الفحولة لغة واصطلاحا :***

**أ- الفحل لغة:**
 الفحل: الذكر من كل حيوان، وجمعه أفحُل وفحول وفحولة وفِحال وفِحالة ورجل فحيل: فحل.. والفحيل: فحل الإبل إذا كان كريماً منجباً... وكبش فحيل: يشبه الفحل من الإبل في عظمه ونبله... والعرب تسمي سهيلاً الفحل تشبيهاً له بفحل الإبل، وذلك لاعتزاله عن النجوم وعظمه... والفحل والفحال: ذكر النخل.. ولا يقال لغير الذكر من النخل فُحَّال..." ([[1]](#footnote-1)).

 فالفحل لغة يتصف بالقوة والغلبة والكرم والإنجاب والعظم والنُّبل، إضافة إلى أن معاني الفحل في اللغة تختص بالذكر دون الأنثى،

**ب - الفحل اصطلاحًا:**

 سئل الأصمعي صاحب "فحولة الشعراء" عن الشاعر الفحل فأجاب: هو " من له مزيَّة على غيره كمزية الفحل على الحقِاق" ([[2]](#footnote-2))، وفي حكمه على عدى بن زيد " ليس بفحل ولا أنثى ".([[3]](#footnote-3))
 وفحول الشعراء كذلك هم "الذين غلبوا بالهجاء من هاجاهم، مثل جرير والفرزدق وأشباههما، وكذلك كل من عارض شاعراً فغُلِّب عليه فهو فحل مثل علقمة بن عبدة"([[4]](#footnote-4)).

 وإذا ما حاولت الدراسة أن تتلمس شيئا من وشائج القربى بين التعريف اللغوي والمفهوم الاصطلاحي فيمكن القول: إن الفحولة قد انتقلت من دلالتها على الذكر من كل حيوان، أو من دلالتها على النجم سهيل، أو ذكر النخل، أو ما إلى ذلك مما أفادتنا به معاجم اللغة ـ إلى ميدان الشعر والشعراء، لتوصف بها طبقة من الشعراء تميزت عن غيرها في ميدان الموهبة الشعرية والإبداع الشعري،، والوصول إلى مرتبة الفحولة في الشعر ليس أمراً سهلاً أو هيناً، يستطيعه كل من رامه، ويبلغه كل من سعى إيه،

 ومن هنا نفهم السبب الذي حدا بالنقاد إلى أن يجعلوا الشاعر الفحل في طليعة الشعراء، وفي المرتبة الأولى منهم، فقد ذكر الجاحظ أن "الشعراء عندهم أربع طبقات، فأولهم الفحل الخنذيذ، والخنذيذ هو التام.. ودون الفحل الخنذيذ الشاعر المفلق، ودون ذلك الشاعر فقط، والرابع الشعرور"([[5]](#footnote-5))

إن أول أثر نقدي مدوّن يفصح عن رأي صاحبه في الشعر والشعراء، ويعتمد على أسس محددة وواضحة،وصل إلينا من هذا النوع،هو كتاب "**فحولة الشعراء**" للأصمعي الذي سنتناوله فيما يلي:

***ثانيا : معايير الفحولة عند الأصمعي –ت216ه- :***

أقام الأصمعي معظم أحكامه على أساس مبدأ نقدي ثابت ومحدد وهو مبدأ الفحولة إذ اتخذ منه معيارا نقديا للموازنة بين الشعراء وتفضيل بعضهم على بعض ،من خلال النظر في أشعارهم ومدى استيفائها لمجمل خصائصه وأركانه،التي تتمثل فيما يأتي :

**1- معيار الكثرة /الكم الشعري :**

 من الموضوعات التي رتب عليها الأصمعي الشعراء فحولا وغير فحول معيار الكثرة ،فكلما كان الشاعر مقوالا مكثرا كان له النصاب الذي يرتقي به إلى مصاف الفحول ،وبالتالي لا يعتد الأصمعي بالأبيات والمقطوعات القصيرة، بل يتخذ من القصائد الجيدة أنموذجا متعاليا يطالب من خلاله الشاعر أن ينسج على منواله .فمن النماذج النقدية التي ساقها رده على سؤال أبي حاتم السجستاني :قلت فالحويدرة ؟قال (أي الأصمعي) :لو قال مثل قصيدته (العينية)خمس قصائد كان فحلا "([[6]](#footnote-6)).وقال في شأن أوس بن غلفاء الهجيمي " : لو كان قال عشرين قصيدة كان لحق بالفحول" ([[7]](#footnote-7)).فالأصمعي يرى أوسا من الشعراء المقلين إلى حد كبير وهذا لا يؤهله ليرتقي إلى مصاف الفحول .

**2- معيار جودة الشعر :**

لهذا المعيار الذي اتخذه الأصمعي مضمارا يقيس من خلاله فحولة الشعراء أهمية عظيمة ،وميزة تبرز براعة الشاعر ومقدرته على نظم الشعر ، ذلك ان الشاعر المجيد إنما هو بمثابة المرجع الذي ينهل منه الشعراء ، فالشاعر المجيد هو فاتح الطريق أمام الشعراء في الكثير من الموضوعات وتطويع الأغراض الشعرية ،ومثل هذه المكانة الرفيعة أولاها الأصمعي لامرئ القيس وذلك في قوله :" ما أرى في الدنيا لأحد مثل قول امرئ القيس : **قاهم جدهم ببني أبيهم لأشقين ما كان العقاب**

قال أبو حاتم: فلما رآني اكتب كلامه فكر ثم قال :بل أولهم كلهم في الجودة امرؤ القيس ،له الحظوة والسبق ، وكلهم أخذوا من قوله واتبعوا مذهبه "([[8]](#footnote-8))،ولم يخف الأصمعي إعجابه الشديد بامرئ القيس لما يحويه شعره من جودة حتى فضله على من سواه من الشعراء ،وبالتالي فمعيار جودة الشعر من أحكم وأقدر المعايير التي تحدد مقدرة الشاعر الفنية ،وتبين مكانته وفحولته بين الشعراء .

**3- معيار الزمن :**

يعتبر الأصمعي أن من الشعراء الجاهليين فحول وإن فحولتهم ظاهرة لا غبار عليها ،أما باقي الشعراء بعد العصر الجاهلي فغدا يبين حجيتهم ويحدد مانتهم انطلاقا من معيار يعد الأساس في تبيان مراتب أولئك الشعراء إنه عامل الزمن الذي يحدد مكانة الشاعر على مر العصور ، فقد وردت آراء ولأحكام في هذا الشأن عن الأصمعي، حيث قال عن الشعراء الأمويين :جرير والأخطل والفرزدق :" هؤلاء لو كانوا في الجاهلية كان لهم شأن ، ولا أقول فيهم شيئا لأنهم إسلاميون"([[9]](#footnote-9)). فالشاعر الاسلامي له مكانة أخرى عند الأصمعي غير مكانة الفحول الجاهليين ،وقد أبدى تحرجا في إصدار الأحكام عليهم .ويبدو أن الشاعر الجاهلي فحل وحجة بالغة عند الأصمعي لا يتقدمه شاعر آخر مهما كان ،والإسلامي والمولد ممن تأخر ولو فاقت بلاغته فهو متأخر وفاقد للاحتجاج في اللغة ،ولذلك تراه يسوق في كتابه كلاما لأبي عمرو بن العلاء مفاده :"سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول :لو أدرك الأخطل من الجاهلية يوما واحدا ما قدمت عليه جاهليا ولا إسلاميا "([[10]](#footnote-10)) .

***ثالثا :معايير الفحولة عند ابن سلام الجمحي-ت232ه -:***

 عرف النقد على يدي ابن سلام الجمحي رواجا كبيرا من خلال كتابه "**طبقات فحول الشعراء** "، حيث وضع الشعراء في موازين تحدد مكانة الشاعر أمام غيره من الشعراء،ونستطيع القول إن " ابن سلام لم يقسم الشعراء إلى فحول وغير فحول كالأصمعي ،إنما نظر في الطبقة الأرقى عادا إياها معيارا لأنه جعل الشعراء في طبقات ناظرا إليهم بملاحظة تقارب مستويات الأداء الشعري ،ذاك التقارب الذي يضعهم في (طبقة ) ،ثم تفاوت مستويات الأداء الشعري، ذاك التفاوت الذي يوزعهم في (طبقات ) ،وهو في هذا وسع الأفق النقدي الذي حدده الأصمعي قبله"([[11]](#footnote-11)) ،أما معايير الفحولة عنده فهي :

**1- معيار الكثرة** :

 اعتمد عليه في المفاضلة بين الشعراء حيث يقدم الشاعر على الآخر والطبقة عن الأخرى بحسب الكثرة والكم الشعري،وكلما وجد الشاعر مقوالا للشعر غزير الرواية له قدمه دون تحرج على باقي الشعراء .وهذا ما نلمحه في تبريره لتأخر منزلة طرفة بن العبد وعبيد بن الأبرص وعلقمة بن عبدة وعدي بن زيد إلى الطبقة الرابعة إذ يقول :"وهم أربعة رهط فحول شعراء ،موضعهم مع الأوائل ،وإنما أخل بهم قلة شعرهم بأيدي الرواة "([[12]](#footnote-12)).وكذلك في معرض حديثه عن الطبقة السابعة قال :"أربعة رهط محكمون مقلون، وفي أشعارهم قلة ،فذاك الذي أخرهم " ([[13]](#footnote-13))

2**- معيار تعدد الأغراض الشعرية :**

 هو معيار اعتمده ابن سلام في توزيع الشعراء والمفاضلة بينهم ،ويتضح هذا الأثر بصورة جلية في مواضع عديدة من طبقاته فقد قال بشأن الأعشى :"هو أكثرهم عروضا وأذهبهم في فنون الشعر ،وأكثره طويلة جيدة ،وأكثرهم مدحا وهجاء وفخرا ووصفا ، كل ذلك عنده"([[14]](#footnote-14)).ومن ذلك مانراه في تبريره لتسبيق كثير(الطبقة الثانية) على جميل (الطبقة السادسة)،مع أن جميلا مقدم في التشبيب على كثير وعلى شعراء النسيب جميعا :"وكان لكثير في التشبيب نصيب وافر ،وجميل مقدم عليه ...وله في فنون الشعر ما ليس لجميل ،وكان جميل صادق الصبابة وكان كثير يتقول ولم يكن عاشقا "([[15]](#footnote-15)).وابن سلام في تأكيده على هذا المطلب في الشاعر ينفي فكرة التخصص في الشعر ، التي لم تكن مقبولة في موازين النقد آنذاك.

**3- معيار الجودة :**

 يعتمد ابن سلام معيار الجودة في ترتيبه الطبقي ،فالشاعر المكثر المجيد مقدم في ترتيبه ، على الشاعر المقل المجيد ،والمكثر المجيد متعدد الأغراض مقدم على المكثر المجيد الذي لم يقل إلا في غرض أو اثنين ،أما كثرة الشعر وتنوع أغراضه فنهما لا يقدمان شاعرا إن كان شعره رديئا ،لأن معيار الجودة هنا يحتم تقديم المجيد على غيره من الشعراء حتى ولو سلك أغراضا عديدة في الشعر :"*و*كان الأسود شاعراً فحلا، *وكان* يكثر التنقل في العرب يجاورهم فيذمْ ويحمل ، وله فى ذلك أشعار، وله واحدة طويلة رائعة لاحقة بأجود *الشعر*، لو*كان* شفعها بمثلها قدّمناه على مرتبته"([[16]](#footnote-16))،أما حسان بن ثابت فقد قال فيه :" أشعرهم حسان بن ثابت وهو كثير الشعر جيده"([[17]](#footnote-17)) ، وبسبب الجودة وضعه ابن سلام على رأس فحول شعراء القرى العربية .

***رابعا :معايير الفحولة عند ابن قتيبة –ت276ه- :***

**1- معيار الزمن :**

 رأى ابن قتيبة أن النقاد في عصره إما متعصب للقديم ويلزم الشعراء بمنوال الجاهليين ، ولا يقبل لهم عذرا في ذلك ،كما أنه لا يقبل لهم رواية ولا يقيم بهم حجة ،ومنهم من ثار على القديم وانتصر للحديث بدعوى ضرورة مسايرة الحياة الجديدة  ، أما ابن قتيبة فنراه يأخذ موقف الرابط الواصل بين القطبين ، فلم يفصل بين ماهو قديم عتيق من عيون الشعر ،وما هو محدث مولد جديد ،حيث يرى أن **الموهبة الشعرية لا تتقيد بزمان ولا بمكان** لأن الله لم يقصر العلم والشعر والبلاغة على زمن دون زمن ، وكما أن في القديم شعرا جيدا وآخر رديئا ،فكذلك حال المولد والمحدث من الشعر يحوي في طياته جيدا ورديئا ، ومن ثمة فإن ابن قتيبة يميل إلى الشعر الجيد من أي جهة أتى، وهو يقول في ذلك :"ولم أسلك فيما ذكرته من شعر كل شاعر ولم أسلك، فيما ذكرته من شعر كلّ شاعر مختارا له، سبيل من قلّد، أو استحسن باستحسان غيره. ولا نظرت إلى المتقدّم منهم بعين الجلالة لتقدمه، وإلى المتأخّر (منهم) بعين الاحتقار لتأخّره. بل نظرت بعين العدل على الفريقين، وأعطيت كلا حظّه، ووفّرت عليه حقّه"([[18]](#footnote-18)).مخالفا بذلك من سبقه من النقاد المتعصبين للقديم حيث يقول :"فإني رأيت من علمائنا من يستجيد الشعر السخيف لتقدّم قائله، ويضعه فى متخيّره، ويرذل الشعر الرصين، ولا عيب له عنده إلّا أنّه قيل فى زمانه، أو أنّه رأى قائله" ([[19]](#footnote-19)).ويسعى ابن قتيبة إلى تعليل مسعاه هذا بتصريحه الآتي:" ولم يقصر الله العلم والشعر والبلاغة على زمن دون زمن، ولا خصّ به قوما دون قوم، بل جعل ذلك مشتركا مقسوما بين عباده فى كلّ دهر، وجعل كلّ قديم حديثا فى عصره، وكلّ شرف خارجيّة فى أوّله، فقد كان جرير والفرزدق والأخطل وأمثالهم يعدّون محدثين. وكان أبو عمرو بن العلاء يقول: لقد كثر هذا المحدث وحسن حتّى لقد هممت بروايته. ثمّ صار هؤلاء قدماء عندنا ببعد العهد منهم، وكذلك يكون من بعدهم لمن بعدنا، كالخريمىّ والعتّابىّ والحسن بن هانىء وأشباههم."([[20]](#footnote-20)).

 أما السبيل الأنجع لترتيب الشعراء على سلم الفحولة فهو حسب ابن قتيبة:" كلّ من أتى بحسن من قول أو فعل ذكرناه (له) ، وأثنينا به عليه، ولم يضعه عندنا تأخّر قائله أو فاعله، ولا حداثة سنّه. كما أنّ الرّدىء إذا ورد علينا للمتقدّم أو الشريف لم يرفعه عندنا شرف صاحبه ولا تقدّمه"([[21]](#footnote-21))

 يعد بروز ابن قتيبة بآرائه هذه قفزة نوعية في تاريخ النقد ،حيث انتقل النقد العربي على يديه من **الحكم على الشاعر إلى الحكم على الشعر**، فالنقد مع ابن قتيبة أخذ يتجه من الواقع الذوقي الفطري إلى الواقع القيمي المستند أساسا إلى معايير مستقاة من القول الشعري ،وهذا تحول واضح في مسيرة النقد، فقد نظر ابن قتيبة إلى الجودة الشعرية كخصيصة وكمعيار أساسي في الشعر لا في الشاعر ،حيث خصص فصلا أسماه أقسام الشعر موجها الأنظار إلى الشعر فقط ، كما ساق في مقدمته كل ما يتعلق بالشعر من عيوب،فضلا عن حديثه عن ثنائية اللفظ والمعنى وعدها أساسا في الحكم على جودة الشعر.

***خامسا: معايير الفحولة عند ابن رشيق القيرواني-ت456ه- :***

يعتبر ابن رشيق من زمرة المؤلفين في مجال الطبقات ،حيث لم يخرج في كتابه الأنموذج عن المعايير التي سلكها غيره من النقاد ،والملاحظ أنّ أغلب معاييره فنّية ، يظهر فيها إيمانه بفكرة أن الأدب للفن والقيمة وأولها :

1- معيار **الجودة :**

 يمكننا القول إن معيار الجودة عند ابن رشيق في أنموذجه هو الأس الذي تقوم عليه بقية المعايير إن كان لها اعتبار ، إذ أنه من البداية لمّا ألّف كتابه في شعراء القيروان ، ذكر أنّه رجّح بين شعراء كتابه من ناحية الجودة ([[22]](#footnote-22)).

يتجلّى مفهوم الجودة عنده من خلال  حسن التصوير و التشبيه و لطافة الألفاظ و رفض الطبع الموحش والتصنع المتكلَّف  مع إحكام اختيار الوزن ، و حصول الانسجام في البيت و القصيدة الشعرية ، إذ كثيرا ما يركز ابن رشيق تعاليقه النقدية على هذه القضايا مثل قوله في ابن حيان الكاتب:"شاعر ذكي متوقد سلس الكلام تطيعه المعاني ، و ينساغ له التشبيه ، و تحضره البديهة"([[23]](#footnote-23)) ، وقوله في محمد بن مغيث : "كان شاعرا مطبوعا، مرسل الكلام ، مليح الطريقة ، يقع على النكت ويصيب الأغراض"([[24]](#footnote-24)) ، وقوله في أبي الحسن الكاتب : " كان شاعرا حديد الخاطر ذلق اللسان مبرزا ،حسن البصر بصناعة الشعر سالكا لجميع شعابها "([[25]](#footnote-25))

 وأغلب ملاحظات ابن رشيق النقدية تدور في هذا الفلك المتعلّق بإجادة الشاعر لذلك فالمصطلحات النقدية المتعلّقة بها كثيرة جدا ، حتى يصعب ضبطها و تمييزها والتفريق بينها فنيا مستقلة ، لكن يمكننا حصرها عموما في ألفاظ الجودة و الامتياز و الحسن و الملاحة و اتباع طريق الشعراء و غيرها مما يقاربها معنويا .

2-   معيار**الكم والكثرة** :

 أعمل ابن رشيق هذا المعيار لكن من غير أن يعتبره شرطا أو ضابطا مؤثرا ، خاصة وأن إكثار الشاعر أو إقلاله بالنسبة لابن رشيق لا يعتبر مهما لأنّ "هؤلاء المقلّين فيهم الكثير من المجيدين"([[26]](#footnote-26)) ، لذلك ففحولتهم ومقدرتهم الشعرية لا يمكن أن تفوته، وإن أورد ابن رشيق مصطلحا يخص هذه القضية فليس بمعزل عن معيار الجودة ، لكن مع ذلك فإن أغلب ملاحظاته  القليلة جدا المتعلّقة بهذا الموضوع تتعلّق بقلّة شعر الشاعر ، و ارتبط هذا كثيرا بالشعراء المصنّفين في الطبقة المتوسّطة كمؤشر إلى أنّ قلة نصوصهم متعلّقة بتوسطهم في الشعرية كما أنّ إشارته إلى ذلك قد تكون متعلقة بقضايا أخرى كانشغال ذلك الشاعر بأمور أخرى غير الشعر مثل الزهد أو الكتابة أو غير ذلك ، مثل قوله في الجنبياني :" كان عبد الله شاعرا ظريفا يخفي شعره و هو مع ذلك قليل ، و يصنعه و لا يتجاوز المقطعات إلى شيء من التطويل"([[27]](#footnote-27))، وقوله في الصدفي : "خامل رثّ الحال ، يطرح نفسه حيث وجد القناعة حتى أنّ بعضهم سمّاه سقراط لتلك العلّة تشبيها به، و ربّما أقام أحمّالناس به حولا كاملا لا يقع عليه نفورا ولواذا ، فشعره لذلك قليل بأيدي الناس"([[28]](#footnote-28)) ،وفي ابن القيني قال :"كان شاعرا مشهورا لطيفا قليل الشعر ، لا يقدر على التطويل كثير الرواية"([[29]](#footnote-29))، وقوله في : الفارسي: "كان ترف الكلام ، نزر الشعر ، قليل التطويل ،متظاهرا بالتأدّب"([[30]](#footnote-30)) ،وفي القطان: "كان شاعرا مشهورا بعيدا من التصنّع لا يكاد يحاوله ، قصير الأشعار ، لا يجاوز العشرين إذا طوّل"([[31]](#footnote-31)) ، هذه تقريبا كل المواضع التي ذكر فيها ابن رشيق معيار قلة شعر الشاعر، ولمح إلى الكثرة في موضع واحد و هو قوله في ابن غالب : "شاعر مذكور **كثير الافتنان** ، ريان الفنن ،  واسع العطن في أنواع علوم الدين و الدنيا ، قدير على التطويل وركوب القوافي الصعبة العويصة ، سريع الصنعة ، يذهب في الشعر كل مذهب ، وينحو في الرجز نحوا عجيبا ، ويتعرّب كثيرا ، و أنا أقتصر في كلامه على ما جانس الوقت وناسب الطبقة"([[32]](#footnote-32)) ،والملاحظ في أغلب نصوص ابن رشيق السابقة أنّها معلّلة أي أنّ إقلال الشاعر مرتبط بمنهجه أو أمر شخصي يتعلّق به أولقصور قدرته الشعرية أحيانا ، وهذه الملاحظات عند ابن رشيق يحاول من خلالها شرح قضايا تتعلق بالشاعر ، أو تبيين ارتباط معيار القلّة بعلة فنية أخرى مرتبطة بها ، و هذا تماشيا مع نهج الاتزان وترك الإفراط والتفريط الذي سلكه ابن رشيق .

3-  معيار  **الدين و الأخلاق** :

إن معيار النقد الديني و الأخلاقي يعد مقياسا ثابتا أو مؤثرا عند ابن رشيق ، إذ يلاحظ أنهّ كان يرفض الهجاء ، و يلاحظ ذلك من خلال بعض تعليقاته مثل قوله في : المثقال: "شاعر مطبوع قليل التكلف سهل القافية ، خبيث اللسان في الهجاء عيار ماجن لا يمدح أحدا "([[33]](#footnote-33))  ،وقوله في الفراسي :" كان شاعرا خليعا ماجنا شريرا كثير المهاجاة ، قليل المداراة، خبيث اللسان"([[34]](#footnote-34))، وهذا الخط واضح عند ابن رشيق قرره في كتابه العمدة إذ يقول  :"وجميع الشعراء يرون قصر الهجاء أجود ، و ترك الفحش فيه أصوب إلا جريرا فإنه قال لبنيه إذا مدحتم فلا تطيلوا الممادحة و إذا هجوتم فخالفوا"([[35]](#footnote-35)) ، يضاف إلى هذا ما يلاحظ على ابن رشيق من امتعاظه من بعض الشعراء الروافظ الشيعيين مثل  إسحاق بن إبراهيم الرافضي الذي قال عنه : "كان رافضيا سبابا عليه لعنة الله"([[36]](#footnote-36)) ،وغيره وسبب ذلك وقوع هؤلاء الروافض في الهجاء والطعن في مقدسات للمسلمين إضافة إلى خلافهم السياسي مع الدولة الصنهاجية .

4-   **القدرة على الإبداع و التصرّف في الشعر** :

في كتاب الأنموذج عند ابن رشيق لا يختلف الأمر كثيرا كما هو عند ابن سلام ، إذ أنّ ابن رشيق يلمح في العديد من المواضع إلى مقدرة الشاعر على التصرّف في أغراض الشعر كتعزيز لإبراز مكانة الشاعر و مرتبته ،و ليس شرطا أن يكون الشاعر قد كتب في كل أغراض الشعر .

لكن مع ذلك فإنّ ابن رشيق يشير إلى أن مقدرة الشاعر على التصرّف في أغراض الشّعر و تنوّع إبداعه يكسبه مزية إضافية عن غيره كما يقول في الحروري  النحوي : " و في شعره من القوة والتصرّف و التصنّع ما ليس في شعر غيره من أصحابنا ، و هو مع ذلك كثير "([[37]](#footnote-37)) ، و قال في محمد بن مغيث : " كان شاعرا مطبوعا ، مرسل الكلام ، مليح الطريقة ، يقع على النكت و يصيب الأغراض"([[38]](#footnote-38)) ، وفي الخولاني: "شاعر ماهر ، صاحب قواف شرّد و لغة عويصة إذا شاء ، و له قدرة على الكلام يأخذ من رقيقه و جزله ، و يسلك في حزنه و سهله مع حفظ للغة العرب و معرفة بفصول الشعر" ([[39]](#footnote-39))، وفي ابن شرف :" ابن شرف : شاعر حاذق متصرّف كثير المعاني و التوليد، جيد المقطعات و التقصيد لا ينكر حذقه"([[40]](#footnote-40)) ،وفي أبي هلال التجيبي: "هو شاعر معروف حسن الطريقة ،متصرف بين التصنع و الاسترسال أحيانا ،صاحب مكاتبات ومضمرات ومعمى ومطيرات ،وملح ومفكهات و مدحه قليل"([[41]](#footnote-41)) ،وفي  المسيلي: " كان شاعرا مطبوعا ،سريع الصنعة جسورا على الكلام و المعاني الأبكار من غير براعة في العلم و لا تقدم في الطلب ، ...كنت أناوله المعاني و أفتح له أبواب الكلام إلى أن دخل الجملة و أنشد في المحافل، ومدح الأشراف ، ثم لم يزل حتى نابش الشعراء وتصرّف كيف شاء في القطع والقصائد" ([[42]](#footnote-42))، هذه بعض الأحكام من ابن رشيق في خصوص هذه القضية التي يشير من خلالها أنّ التصرف في أغراض الشعر يكسب  صاحبها قيمة إضافية .

5-   معيار**الزمان والمكان :**

 اتخذ ابن رشيق في عمدته من هذه المسألة موقفا معتدلا متوازنا قوامه أنّ المعيار الزمني والمكاني قاصر في العملية الأدبية، إذ أنّ كلّ قديم هو محدث في زمانه بالإضافة إلى من كان قبله كما نقله عن ابن قتيبة إذ أنّ الله تعالى لم يخص فئة بالكلام و فنونه عن أخرى([[43]](#footnote-43))، وهذا ما مارسه فعلا في أنموذجه فبالرغم من أنّ الأنموذج يخص شعراء زمن و إقليم معين إلا أننا لا نلمس مفاضلة بين الشعراء بسبب أزمانهم ولا أمكنتهم وإنما نجد إشارة إلى أثر البيئة على إبداع الشاعر حين نقل ابن رشيق عن شيخه النهشلي نصا مهما في أثر البيئة في الشعرية يقول فيه : "قد تختلف المقامات والأزمنة والبلاد، فيحسن في وقت مالا يحسن في آخر، ويستحسن عند أهل بلد ما لا يستحسن عند أهل غيره. ونجد الشعراء الحذّاق تقابل كل زمان بما استجيد فيه وكثر استعماله عند أهله، بعد ألاّ تخرج من حسن الاستواء، وحدّ الاعتدال وجودة الصنعة، وربما استعملت في بلد ألفاظ لا تستعمل كثيراً في غيره: كاستعمال أهل البصرة بعض كلام أهل فارس في أشعارهم ونوادر حكاياتهم، قال: والذي أختاره أنا التجويد والتّحسين الذي يختاره علماء الناس بالشعر، ويبقى غابره على الدّهر، ويبعد عن الوحشيّ المستكره، ويرتفع عن المولّد المنتحل، ويتضمن المثل السائر، والتشبيه المصيب، والاستعارة الحسنة"([[44]](#footnote-44))، فبالرغم مما يبديه ابن رشيق من أهمية للبيئةإلا أنّ هذا لم يظهر أثره في كتاب الأنموذج لأنّ طبيعة الكتاب المختص بإقليم واحد ترفع عنه عنت البحث في تأثير البيئة في الشعراء ، إلا أنّه مع ذلك يورد بعض أحوال الشعراء مثل مكان مولدهم و نشأتهم و تقلبهم في البلدان لأن له علاقة ببعض القضايا الأدبية المهمة ، لكنه عموما لم يعمل معطيات الجغرافيا كأدوات نقدية في كتاب الأنموذج.

خاتمة

- اتضح لنا مما تقدم أثر البيئة البدوية في وضع مصطلح الفحولة، وهذا يدل على عمق التفاعل والتأثر بين الناقد والبيئة التي تحيط به.

- وجد النقاد أن الشعراء يتفاوتون فيما بينهم في الموهبة والأداء والإبداع الشعري، وغير ذلك من مقومات عمل الشعر، ولقد استطاعوا من خلال الاستعانة بمصطلح الفحولة أن يصنفوا الشعراء في طبقات، بعد أن أخذوا بعين الاعتبار الفوارق والاختلافات التي تجعل الشعراء في درجات، وتميز بعضهم من بعض.

 - تطور معايير الفحولة عبر الزمن وجنوحها نحو الجودة الشعرية واهمال المعايير التي لا تتصل بالجانب الفني من خلال عدم احتفال النقاد المتأخرين ببعض المعايير غير الأدبية والفنية مثل المكان والزمان كإشارة منهم ألاّ عبرة بالتقدّم والأولية أو أنّ التأخر موجب للأفضلية ، مما يؤكد تطور النقد القديم باتجاه موضوعي.

**- من أبرز الآثار النقدية لتوظيف مصطلح (الفحولة) : 1- التمييز بين طبقات الفحول**

**2- إعادة صياغة الخارطة الشعرية 3- رفع مستوى الشعرية أو الفنية .**

1. **ابن منظور**: لسان العرب،11/136. [↑](#footnote-ref-1)
2. ا**لأصمعي** : فحولة الشعراء ،تحقيق ش توري ،دار الكتاب الجديد ،بيروت ،دط ،1980، ص9. [↑](#footnote-ref-2)
3. المصدر نفسه ،ص11. [↑](#footnote-ref-3)
4. **ابن منظور** : لسان العرب ،11/137. [↑](#footnote-ref-4)
5. ا**لجاحظ** : البيان والتبيين ،2/9. [↑](#footnote-ref-5)
6. **الأصمعي** :فحولة الشعراء ص12. [↑](#footnote-ref-6)
7. المصدر نفسه ،ص15. [↑](#footnote-ref-7)
8. المصدر نفسه ،ص 9. [↑](#footnote-ref-8)
9. المصدر نفسه ،ص12. [↑](#footnote-ref-9)
10. المصدر نفسه ،ص13. [↑](#footnote-ref-10)
11. **رحمن غركان** : مقومات عمود الشعر الأسلوبية في النظرية والتطبيق، اتحاد الكتاب العرب،دمشق ،2004 ،ص 60. [↑](#footnote-ref-11)
12. **ابن سلام الجمحي** :طبقات فحول الشعراء، 1/137. [↑](#footnote-ref-12)
13. المصدر نفسه ،1/155. [↑](#footnote-ref-13)
14. المصدر نفسه 1/65 [↑](#footnote-ref-14)
15. المصدر نفسه ، 2/545 [↑](#footnote-ref-15)
16. المصدر نفسه ، 1/147. [↑](#footnote-ref-16)
17. المصدر نفسه ،1/215. [↑](#footnote-ref-17)
18. **ابن قتيبة** :الشعر والشعراء، 1/62 [↑](#footnote-ref-18)
19. المصدر نفسه ،1/62، 63 . [↑](#footnote-ref-19)
20. المصدر نفسه ،1/64. [↑](#footnote-ref-20)
21. المصدر نفسه،1/64. [↑](#footnote-ref-21)
22. **ابن رشيق القيرواني** :أنموذج الزمان في شعراء القيروان ،تح: محمد العروسي المطوي و بشير البكوش، الدار التونسية للنشر - تونس- والمؤسسة الوطنية للكتاب \_الجزائر\_1986م ، ص155. [↑](#footnote-ref-22)
23. المصدر نفسه ص 396 [↑](#footnote-ref-23)
24. . المصدر نفسه ص 404 ، 405 . [↑](#footnote-ref-24)
25. المصدر نفسه، ص 360 ، 363 . [↑](#footnote-ref-25)
26. **ابن رشيق القيرواني :**  العمدة ، 1/102 . [↑](#footnote-ref-26)
27. **ابن رشيق القيرواني** : أنموذج الزمان ،ص 186 . [↑](#footnote-ref-27)
28. المصدر نفسه ،ص 189 . [↑](#footnote-ref-28)
29. المصدر نفسه ، ص 189 ،190 . [↑](#footnote-ref-29)
30. المصدر نفسه ،ص 286 . [↑](#footnote-ref-30)
31. المصدر نفسه ، ص 318 . [↑](#footnote-ref-31)
32. المصدر نفسه ،ص 289 ، 290 . [↑](#footnote-ref-32)
33. المصدر نفسه ،ص 235 ، 238 . [↑](#footnote-ref-33)
34. المصدر نفسه ،ص 146  [↑](#footnote-ref-34)
35. **ابن رشيق القيرواني** : العمدة ، 2/172. [↑](#footnote-ref-35)
36. **ابن رشيق القيرواني** : أنموذج الزمان ، ص 78 . [↑](#footnote-ref-36)
37. المصدر نفسه ، ص 162 ، 166 . [↑](#footnote-ref-37)
38. المصدر نفسه ص 404 ، 405 . [↑](#footnote-ref-38)
39. المصدر نفسه ص 421 ، 423 . [↑](#footnote-ref-39)
40. المصدر نفسه ص 340 ، 343 . [↑](#footnote-ref-40)
41. المصدر نفسه ،ص 102 . [↑](#footnote-ref-41)
42. . المصدر نفسه، ص 311 . [↑](#footnote-ref-42)
43. **ابن رشيق القيرواني** : العمدة،  1/138 [↑](#footnote-ref-43)
44. . المصدر نفسه، 1/93. [↑](#footnote-ref-44)